الموسم الثالث عشر للحفائر في ماري

في ربيع ١٩٦٣

للأستاذ اندره بارو

تعريب وتلخيص بشير زهدي

كان التقرير السابق قد حسب حسابا لحفر قطاع الزيقورة الذي كان قد استؤنف عام ١٩٦٠ واستمر في عام ١٩٦١ وكان بعيداً عن اتمامه . وكانت النتائج التي حصلنا عليها في كانون الاول من عام ١٩٦١ تفرض طبعاً أهداف الموسم التالي الذي بدأ في ١١ آذار وانتهى في ٦ مايس ١٩٦٣ .

فقد وصلت بعثتنا إلى سورية في ٣ آذار ، فلقيت نفس الترحيب اللطيف الذي كانت قد استقبلت به في السنين السابقة . فعلى الحدود استقبلت من قبل السيد مقداد مندوب المدير العام وذلك لتسهيل كل شكليات الدخول . واستطعنا أن ننهي في دمشق كل استعداداتنا ومشترياتنا ولم يأل جهداً الدكتور عبد الحق وكل موظفي المديرية العامة لانهاء كل شيء في أقصر مدة . وبعد حفلة الاستقبال التي أقامتها المديرية العامة في نادي الشرق ، كان بامكاننا السفر سريعاً

إذ أننا حصلنا مباشرة على سمة دخول إلى منطقـــة الفرات بفضل تدخل العميد عكام مدير الامن العام .

وكالعام الماضي ، فقد مثلت المديرية العامة للآثار والمتاحف تجـاه البعثة من قبل السيد مقداد ثم السيد الجندي ولم يكن لنا أن نهيء أنفسنـــا لمعاونتها إيانا من اليوم الأول حتى اليوم الاخير من عملنا . ولا ننسى أيضاً الترحيب الذي لقيناه من قبل السيد فيصل الصيرفي مدير آثار ومتاحف سورية الشمالية إذ أن مساعدته لنا في حلب لم تنقصنا أبداً ، شأنها شأن المساعدة التي نجدها من قبل السيد الصواف بمناسبة جولاتنا القصيرة ومشترياتنا . وفي (ابوكمال) ودير الزور ، كانت العلاقات مع السلطات المحلية جيدة جداً . وقد استطاعت البعثة أن تعمل في أفضل الشروط بدون أي اهتمام آخر إلا استخدام الأسابيع التي عليها أن تمضيها في الموقع خير استخدام .

في آخر الموسم الثاني عشر (كانون الأول ١٩٦١) كنا كتبنـا بان معبد ما قبل عصر سرجون المكتشف من قبلنا يتسع إلى ماوراء المنطقـة التي حفرت ، وانه يجب البحث عن الامتداد في القسم الغربي من فسحة الزيقورة وراء جدار الحرم وأخيراً تحت كتلة البرج نفسها . وقد تأكدت فرضياتنا . فقد وجدت الأبنية الدينية في قطاع الفسحة وفيما وراء جدار الحرم حيث أننا لم ننجح بعد في الوصول إلى نهايته . وهذا الاتساع قد استأثر بنا أكثر مما كنا نظن ومنذئذ لم تكن هناك مشكلة بالنسبة الينا لضيق الوقت لنحاول الحصول على فكرة ما عن العمارة بولوج الدهاليز تحت كتلة الزيقورة . وسنحدد إذن الآن النتائج التي وصلنا اليها بحفائرنا المتابعة في القطاع الغربي من الفسحة . ثم في القطاع الواقع شمال جدار الحرم .

وكان القطاع الغربي من فسحة الزيقورة قد حفر سوية بعد سوية . وكانت النتائج هي ذات النتائج التي ظهرت خلال الموسم الماضي : طبقتان من الحصى تغطيان صفوف الآجر الجنف ثم كل الحاجز من الأرض والكسرات يغطي منشآت ماقبل عصر سرجون . وقد أبرزت عدة غرف هي تتمة ظاهرة للمجموعة المكتشفة عام ١٩٦١ . وقد تركت لنا الغرفة (رقم ١٦) علاوة عن الكثير من الفخار المكسور (جرار وصحون وطاسات) مجموعة من ثماني رقم

فخارية تعود إلى ماقبل عصر سرجون . وهي وإن كانت ذات طابع حسابي ، فانهـا ليست أقل أهمية إذ أنها - كما عرف ذلك فوراً زميلنا الأستاذ دوسان المختص بكتابات البعثة - تحصي تسليم المؤن الغذائية (خبز ، قمح ، طحين) إلى المعابد ، والربات وقصر الملك .

وهكذا يبدو ذكر الأرباب (ان . ان بدون شك آنو) ، وداجن وانكي ، واشتار ، واشكور (أو حدد) ، نينكور وغيرهم من الارباب الثانويين الذين لم يعثر حتى الآن على معابدهم ولم توحد . وفائدة هذه الوثائق تعود إلى أنها تكشف لنا عن كثرة أرباب مـاري منذ النصف الأول للالف الثالث ق . م ووجود قصر في العصر نفسه . ويظهر هـذا — بدون شك — ويستنتج ذلك من ذكر أسرة مالكة في ماري في قائمة الامرات المالكة ، وظهور عدة تماثيل أهديت من قبل الحكام (لجي ماري ، ايتور شماغان) أو أهديت اليهم (مثل ابلول - ايل) . ومنذ وقت طويل كنا نبحث عن مكان قصر ماقبل عهد سرجون دون أن ننجح في تحديد مكانه على التل . ولم يكن يستبعد أن يكون هذا المقر الملكي هو تحت المقر الذي يعـود إلى أوائل الألف الثاني ولكن ذكره الضمني في وثيقة كتابية لم يكن بدون قيمة .

وهناك اكتشاف آخر يستحق أيضـاً أن نتوقف عنده للصعوبات في التفسير الذي رافقه . ففي الباحة (٣٢) وقرب تنورين اكتشفنا كومة من القذائف الصغيرة من الطين المجفف لها شكل البيضة وأحياناً يعثر منها بحجم أكبر ولكن بشكل كروي ، ونادراً مايعثر على النوع نفسه بشكل بيضوي مر على النار وقد ظهرت هذه الأشياء متراكمة ومؤلفة من عدة مئات إن لم تكن عدة آلاف نموذج منها . فظن فوراً بأنها ذخيرة معتبرة مؤلفة من كرات مقلاع وبالنسبة للكبيرة منها بأنها قذائف يدوية ، ولكن ذلك يفسر شيئاً مثل هذه الأشياء المخزونة في قطاع يدل - حتى ظهور دليل معاكس - على أنه يعود إلى منشآت دينية .

وتجدر الإشارة أيضاً بأننا لاحظنا في قطاعات جهة الجدار الذي يتوسط طبقة الحصى والردم كثافة خاصة من عظام حيوانات ، وبعضهـا كان محتفظاً بحالته بشكل عجيب . وقد عولجت فوراً فأمكنت تقويتها وترتيبها بدون صعوبة ، وسيكون فحصها كاملة من قبل مختص وذلك لنتأكد من تحديد نوعها . ولنلاحظ منـذ الآن زوج قرنين جميلين لجدي ، وهيكل عظمي

لغزال كأنه دفن تحت ردم أو مات مخنوقاً وذلك بعد سقوطه في شق انهدام ، وهناك أيضاً قرن حيوان كبير جداً ربما كان الثور الوحشي Bison .

أضف الى ذلك بأنه في كل قطاع توجد آثار حريق كبير ، وهذا ما يؤيد الاستنتاجات التي بدت في عام ١٩٦١ وهي أن المعبد قد أحرق وهدم بوحشية بالنار ، دون أن تبقى غرفة أو ممر لم يهدم ؛ ومن هذا الواقع ، فإن عدم وجود رماد يسمح – هناك حيث يمكن أن يجعل المخطط يميل الى التردد – بالتعرف على الباحات ، إذ لا يلاحظ فيها أي عمود محترق .

وفي كل هذه الكتلة من القاعات والباحات ، فان وحدة المفهوم المعماري واضحة ، فالاتجاه هو نفسه وكل هذه المجموعة توجد محددة في جهة الشمال بممر (١٤) مغطى أيضاً وينحني ويختفي تحت جدار كبير يمكن أن ينسب بدون شك يمكن الى عصر القصر والذي يعود نفسه الى هذا الأخير وهذا كشف غير منتظر .

وفي بداية الحفرية في قطاع الزيقورة ، وحساب انطلاق مستقيم ، كان يمكن الافتراض بأنه يتتابع بامتداد القطاع المقدس ، وينقطع عن الانحناء ، وانه في كل الحالات يأخذ اتجاه (الكتلة الحمراء) ، وما نتج كان العكس ، فالجدار ذو المداميك الرائعة تنحرف ليس في جهة الشرق (الكتلة الحمراء) وانما باتجاه الشمال الغربي أي باتجاه القصر . وبدون شك يتصل بجدار تمكن رؤيته في الشمال والشمال الشرقي من المقر الملكي ، وهذا ما سيتحقق منه خلال الموسم القادم .

* * *

في كانون الأول عام ١٩٦١ لم نستطع ، بسبب الأمطار ، من انهاء تنظيف القطاع الشرقي (في سوية ما قبل عصر سرجون) لهذا استأنفناه وأنهيناه في خلال الخمسة عشر يوماً الأولى من الحفرية . وهذا العمل لم يكن بدون ثمرة ، إذ أنه أتاح لنا أن نحصل من جديد على قطع تماثيل مشوهة كثيراً مع الأسف . ومع ذلك يجب أن نذكر تمثالاً نصفياً جميلاً يمثل متعبداً ، ورأساً صغيراً لرجل ، وقطعة من وجه رجل ملتح رائع الصنع ، على شفتيه الابتسامة الخاصة بوجال ماري .

وللانتهاء من هذا القطاع فلنضف بأننا قمنا من جديد بدراسة زاوية الشمال الشرقي من الزيقورة ، فكان مؤكداً بأن هذه الزاوية تدل على اضافة واضحة تغير من طبيعة مخطط البناء ، وانه ليس لها علاقة به . فالزيقورة تقع إذن على مخطط عادي مستطيل ، ومن جهة أخرى هناك ما يجعلنا نفهم بشكل آخر « باب المدخل » المشار اليه عام ١٩٣٨ وفي ١٩٥٢ لأنه اذ كانت المداخل أكيدة ، فانه لا تفهم أيضاً الكتلة المشيدة التي تقطعها .

وفي الوقت الذي كان فيه عمالنا يشتغلون في هذا القطاع القريب من معبد (داجن) الذى يعود الى الألف الثاني لم نستطع أن نجد حلاً مقبولاً — بدون فحص جديد — بان هذا المعبد ليس له سوى ثلاث مستودعات أساسات ، لهذا فقد استأنفنا البحث عن رابع كان قد بدىء به في موسم ١٩٥١ — ١٩٥٢ بدون نجاح . وكان هذا الجهد الاضافي أيضاً بدون ثمرة ، واننا نشك الآن بوجود مستودع رابع في هذا المعبد الذي كشف عن ثلاثة منها . وفي الحالة المعاكسة ، يجب أن لا يكون هذا المستودع في صف ولا سوية المستودعات الثلاثة الأولى .

* * *

وكنا أشرنا أعلاه بان القسم الثاني من الموسم كان مخصصاً لتنظيف الطرف الشمالي لجدار الحرم ، وكان هذا الطرف قد فحص من طبقات السطح حتى سوية ما قبل عصر سرجون ، إذ توجد تتمة المعبد ولكنها تبدو أيضاً في القطاع « المشترك » . والأبنية في حالة جيدة من الحفظ ، ومتجهة مثل التي ظهرت في جنوب الممر . وقد لوحظ من الأسفل الى الأعلى الترتيب الآتي : منشآت ما قبل سرجون ، حاجز من ردم ، طبقة من الحصى ، جدار جميل متجه من الغرب الى الشرق شيد على أساس من الحصى ، أرض مع كمية كبيرة من الكسرات وأخيراً مساكن من عصر لاحق وصل فيه الآشوريون ليضعوا فيه قبورهم . وهذا التتابع واضح في كل مكان ومع ذلك فقد اضطرب في مكان باقامة غرفتين جميلتين مستطيلتين (٣١ — ٣٢) فيه شيدتا من الطين المجفف مع طلاء داخلي أحمر ، وهذا البناء يمكن تأريخه بدقة : فقد تبع بناء طريق

الموكب القديم وسبق بناء جدار الحرم . وفي الواقع ان ماسمي بـ (طريق) قد حفر وهدم في هذا المكان ، ولكنه علاوة على ذلك فان مجموعة أبنية ما قبل سرجون قد حفرت . وأن هاتين القاعتين المتصلتين ليس لهما أبواب ، ونعتقد اذن بأنه يمكن ويجب اعتبارهما كمخزنين وهذا يتفق تماماً مع ما نعرفه عن معابد بلاد ما بين النهرين التي كانت في نفس الوقت أمكنة عبادة ومخازن ، ومستودعات .

ومن هذه المجموعة الشمالية لم نستطع الوصول الى النهاية لأن الغرف تتتابع باتجاه الشمال الشرقي والى ماوراء حد الحفرية . وان ماكان قد حفر له دائماً مظهر « مشترك » ويحكم على ذلك بالنسبة للتنانير العديدة في هذا القطاع (الغرف ٣٣ و ٣٤) . وليست القطع التي عثر عليها في هذا القطاع الغربي سوى قطع فخارية كبيرة وصحون عديدة مكسرة . وبالمقابل ، ففي القسم الشرقي وفي السد بمواد حمراء ، جمعنا أيضاً تماثيل مكسورة وأصداف تعود الى أحد ألواح الموازييك العديدة في ماري . ولا يبدو بان هذه العناصر قد أتت من لوح جمع مشوهاً عام ١٩٦١ في الغرفة (١٠) لأنها من نموذج آخر . وليس هناك طبعاً شيء كان في مكانه لأنه اختلط في هذه الأرض المؤلفة من الردم .

* * *

وان اتساع البناء دعانا إلى فتح شق لعمل السبر يتجه نحو الشمال ويصل إلى النهاية الشمالية من التل . ولم يكن هناك مجال للاسف ، لأن هذا التنقيب في رأينا يجب أن يتيح لنا أن نهتدي إلى ما كنا نبحث عنه منذ وقت طويل : أي الحد الشمالي للقطاع المقدس جعلت وقفاً لـ (داجان) . ولم نستطع هذه المرة أيضاً — بسبب ضيق الوقت — أن نصل إلى سوية ماقبل سرجون على طول يتجاوز مائة متر . وظهرت مساكن في أعماق مختلفة أتاح لنا الفخار والختم الاسطواني المكتوب أن ننسبه إلى عصر القصر . وعلى طول الشق كان علينا أن ننظف خمسين مدفناً من تواريخ مختلفة أي من أوائل الألف الثاني والعصر الاشوري والسلوقي . وفي زوايا الغرف ، وفي أسفل الجدران قبور عديدة لاطفال مع أواني نموذجية مخصصة لحفظ عظام الموتى .

ومن بين القبور الاشورية يستحق أحدهـا (٥٦٣) الذكر بسبب غناه . فقد كانت المرأة الشابة المدفونة فيه محاطة بالعديد من الحلي : أطواق من أحجار مختلفة (عجينة زجاجية عقيق ، عنبر ، خرز زجاجي) وأختام اسطوانية ، وتعاويذ ، وأساور ، وأشياء حديدية . ومن بين الأختام الاسطوانية الستة فإن أحدهـا بأبعاده (ارتفاع ٠٫٠٠٨ القطر ٠٫٠٠٥) هو بدون شك أصغر الأشياء من هـذا النوع الذي أخرج من حفرية . وهو منقوش بمنظر يشاهد كلبين Griffon متتابعين وعلى الاختام الأخرى تشاهد المواضيع المعتادة في فن النقش الاشوري الجديد (مشاهد صيد) . وتثير الأساور البرونزية المكتشفة مشكلة ، إذ أن المتوفاة معها خمسه أساور في كل رجل مما يجعل مجموع وزنها ٣٫٧٠٠ ك . غ وهذا يبدو بانه لايتفق مع النقل المعتاد . فهل هـذا من زينة تفاخر لامرأة جالسة ليس لها أن تتحرك ؟ أم أنه بالعكس قد اعتادت تلك المرأة تدريجياً على الحركة وفي قدميها أثقال متزايدة بدون انقطاع ؟ وفي الواقع من الصعب الافتراض بأنهـا وضعت فيما بعد ، وأغرب من ذلك وجود شعر حديدي بين الأشياء الجنازية إلى جانب سلسلة من المعدن نفسه . أضف إلى ذلك أنه عثر في هذه الجهة على عشرات من الاصداف المثقوبة التي من المستحيل تحديد ترتيبها بقدر ماظهر انا القبر مسروقاً . وفي الواقع ليست الجرتان الجنازيتان ضعيفتين فقط بل وان قطعهما كانت أكثر من تفكك . ومن جهة ثانية ، وهذا بالنسبة لنا حجة أساسية ، فقد جمعنا ثلاثة أغطية (اثنان منهـا من العظم والثالث من الحجر) تعود أكيداً إلى ثلاثة صناديق لم يعثر عليهـا والتي يعتقد بأنها كانت مملوءة بالأشياء الأكثر ثمناً ، مماثلة لحلقة الأنف الذهبيه التي عثرنا عليها والتي نرى بأنها بقية مما نسيه اللصوص .

وفي النهـاية الشماليه من شق السبر استهدينا على مسكن جميل البناء مع أرض مبلطة وجداره مغطى بالجص . وعلى بعـد قليل منه وجدت مجموعة من المدافن السلوقية من ثلاثة أنواع عرفت حتى الآن في ماري : اما بشكل جرتين الفتحة تقابل الفتحة . أو جرة كبيرة

أو بشكل قشرة الجوز وهي قبور فقيرة جداً ليس فيها أشياء ترف جنازية . ومع ذلك نشير الى ان في أحدها متوفى ومعه في رحلته الى العالم الآخر سوط ومغطى بأنسجة وجد منها قطع هامة . وهنا أيضاً بسبب ضيق الوقت ؛ لم يتجاوز حفر الشق سوية السطح وعلى كل حال لم ترشد الا الى المساكن ولكن هذه النتيجة لم تسمح بوجه من الوجوه ، بالتنبؤ عما تغطيه في عمقها .